AL-MISBAH RESEARCH JOURNAL

Al-Misbah, **Vol. 3, No. 2**(2023),21-32
https://almisbah.info/

منهج استدلال الصحابة رضي الله عنهم بالآيات القرآنية

The Methodology of Companions' (رضى الله عنهم) Inference from the Quranic verses

*Muhammad Idrees Yaqoob
**Dr. Tahir Mehmood

ABSTRACT

This Article attempts to explain the methodology used by the Companions (Sahaba) of the Prophet ﷺ -Sahaba- to draw inference from the Holy Qur'an by studying their biographies. According to all exegetes the Companions (Sahaba) of the Prophet ﷺ -Sahaba- are one of the main sources for interpreting the Holy Qur'an, their methodology for interpreting the Qur'an was that they used to refer to the Qur'an and Sunnah, but, if they couldn't find it there, they would strive to explain it with the power of deduction. In this article, an attempt has been made to describe the method of reasoning of the Companions of the Holy Prophet ﷺ-Sahaba-, which method they used to derive the rulings from the Qur'anic verses.

Key Words: Quran, Holy Prophet (S.A.W.W), Companions of the Holy Prophet ﷺ -Sahaba- Sunnah, etc.

المستخلص

إن الصحابة رضي الله عنهم أساس لتفسير القرآن وعلومه عند جميع المفسرين لأنهم عرب يد ركون معاتى القرآن الكريم ويفهمونها بمقتضي منهجهم العربي فهماً جيدا سليما، وهم عاشوا فترة نزول الوحي مع النبي صلى الله عليه وسلم، وعرفوا أحواله وأسباب النزول، وعلموا أحوال من نزل فيهم القرآن وأما طريقتهم ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم وتوضيحه، فكان رجوعهم إلى القرآن وأقوال النبي صلى الله عليه وسلم فيه، فإن لم يوجد ذلك استخدموا فيه قوة إستنباطهم وقد جرت محاولة في هذا المقال لوصف طريقة تفكير الصحابة ، وهي الطريقة التي اعتمدوها لاستنباط الأحكام من الآيات القرآنية.

* PhD Research Scholar Tafseer & Quranic Sciences (Usuluddin) International Islamic University Islamabad.
** Associate Professor, Tafseer & Quranic Sciences (Usuluddin) International Islamic University Islamabad.

ISSN-Online: 2790-8828
ISSN-Print: 2790-881X

تعريف المنهج والاستدلال والصحابي

المنهج:

إنّ الدراسات والأبحاث العلمية تعترضها عقبات ومصاعب وهي تحتاج الكشف عن حقائق ولتجاوز هذه المرحلة الصعبة لابد من استحضار مجموعة من القواعد والضوابط والأصول العامة التي تسير سير العقل حتى يصل إلى غاية ونتيجة مفيدة معلومة ولا يكون ذلك إلاّ بإتباع طريق بين واضح ومنظم ينظوي تحت مسمى المنهج ولتحديد معالم ومعارف هذا المنهج ينبغي كشف عن مفهومه حتى تستوفي الدراسة الغاية المرجوة.

تعريف المنهج لغة:

المنهج في اللغة اسم مصدر ميمي من نهج: طريقٌ نَهْجٌ: واسِعٌ واضِحٌ، ومِنْهَجُ الطّريقِ: وَضَحُه. وهو النهج بفتح فسكون: الطريق الواضح كالمنهج والمنهاج[1].

وفي القرآن المجيد " **لِكُلّ جعلْنَا منكُمْ شرْعَة ومِنْهَاجًا**..."[2]

وأَنهج الطريق استبانَ ووضح وصار نَهْجاً وطريقاً واضحاً بيِّناً، وعليه: فالمنهج هو الطَّرِيق البين الواضح[3].

تعريف المنهج اصطلاحا:

المنهج: هو نسق وسلسة من القواعد التي تركب البحث العلمي وتنظمه[4].

تعريف الاستدلال:

بلا شك أن الاستدلال نشأ في عصر الصحابة رضي الله عنهم وتبين ذالك من اجتهاداتهم وأقضيتهم كانت كلها تطبيقات على المستجدات بعيدا عن التنظير والتشخيص لعنوان الاستدلال الذي تعددت مبانيه والمعنى واحد فاقتضت الدراسة تحديد هذا المفهوم.

تعريف الاستدلال لغة:

الاستدلال لغة من فعل دل، يدل[5] وهو: طلب الدليل،[6] فالسين والتاء للطلب والمادة استفعال من الدليل: ما يستدل به والدليل الدال على الطريق دلالة.[7]

تعريف الاستدلال اصطلاحا:

عرفه الجصاص[8]: هو طلب الدلالة والنظر فيها للوصول إلى العلمِ بالمدلول[9].

التعرف على الصحابي:

الصحابي لغة: هو من مادة ص ح ب، صحبه يصحبه صحبةً، بالضم، صحابةً، بالفتح، وصاحبه عاشره، والصاحب المعاشر، والأصحاب جمع الصحب .واستصحبه :دعاه إلى الصحبة، ولازمه[10].

واصطلاحا: عرفه ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى:[11] "من لقي النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم مؤمنا به ومات على الإسلام فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن روى عنه أو لم يرو ومن لم يره لعارض كالعمى ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه".[12]

فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين:

هم الذين اختارهم الله تعالى لصحبة النبي الكريم عليه الصلوة والسلام ولنصر دينه وكانوا وزراء نبيه عليه الصلوة والسلام وهم أتقى الناس قلوبا وليس فيهم التكلف وأعمقهم علماً، صان الله تعالى بهم الإسلام وبلغه بهم في العالم كله وكانت لهم مراتب علماً بين الكثرة والقلة ولصحبتهم النبي عليه الصلوة والسلام وتعرفهم على أحواله تتقدم آراهم وأقوالهم على أقوال غيرهم عند العلماء وهم يثقون بها في تبيين دين الإسلام وتوضيحه ويختارون أقوالهم وآراهم عند الاختلاف في أمر ولاسعة لهم أن يخرجوا عنها لأنهم أعلم الأمة بكتاب الله ومراده.

ومدحهم الله تعالى في كلامه حيث قال الله تعالى:

"**يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**"[١٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: "إنَّ الله تعالى نظر في قلوب العباد فاختار محمدا صلى الله عليه وسلم فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه، ثم نظر في قلوب الناس بعده فاختار الله تعالى له أصحاباً، فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه صلى الله عليه وسلم فما رآه المؤمنون حسنا فهو حسن وما رآه المؤمنون قبيحا فهو عند الله قبيح"[١٤]

وأيضاً جاءت في الاستيعاب عن عبد الله بن مسعود رضوان الله تعالى عليه رواية في نفس معنى الرواية المذكورة، ولم يوجد فيها (فما رآه المؤمنون إلى آخره)[١٥]

وأتى أبو نعيم[١٦] برواية عبد الله بن عمر رضوان الله تعالى عليهما وفيها "من كان مستنا فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوبا وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم....فهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على الهدى المستقيم والله رب الكعبة"[١٧]

تعريف الآيات والقرآن

تعريف الآية لغة: لها عدة معان

منها: العبرة، المعجزة، البرهان والدليل، والعلامة: ومنه قال الله تعالى: "**إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**"[١٨]، معناها العلامة، المقولة المشهورة للعرب "خربت دار فلان وما بقي فيها آيَةٌ" وكل آية في كلام الله تعالى علامة، ودليل على رسالة النبي عليه الصلوة والسلام ونبوته.[19]

والآية اصطلاحاً: هي طائفة (جماعة) لها مطلع ومقطع، مندرجة في سورة من القرآن المجيد[20] ، [٢١].

تعريف القرآن:

القرآن في اللغة: قرأ: القَرآن: من قَرَأَه يقْرؤه(من باب فتح يفتح) أو يقْرؤه(من باب نصر ينصر)، ، قَرءاً وقراءَةً وقُرآناً، فَهو مقْروء، يُسمى كَلَام اللَّه تَعَالَى.[٢٢]

القرآن في الاصطلاح: هو الْقُرآن الْمنزل على نبي الله تعالى عليه الصلوة والسلام الْمكْتُوب بالمصَاحف الْمنقول عنه نقلاً متواترا بلا شبهة.[٢٣]

استدلالات الصحابة رضوان الله تعالى عليهم

كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم متبعين طريقة النبي عليه الصلوة والسلام في الأقوال والأفعال، وخاصةً في تعليم الناس القرآن الكريم ما يحتاجون إليه، خصوصا بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية وبسط الإسلام سلطانه على أقاليم جديدة مختلفة النظم والأعراف والتقاليد، وأشياء لا عهد للمسلمين بها، وكانوا أعمقهم علماً، وأبعدهم عن التكلف، وكانوا أعلم الأمة بكتاب الله ومُراده حفظَ الله تعالى بهم الدين ونشره بهم في العالمين ولما كان من القرب والصحبة من النبي عليه الصلوة والسلام

وتعرف أحواله، تتقدم آراهم وأقوالهم على غيرهم عند العلماء وقد تميزت بالعمق بلا تكلّف، ولذالك فهمهم هو الأحكم والأسلم والصحيح وهو أداة معيارية مهمة لضبط فهم معاني الآيات القرآنية، وهم يستدلون بالآيات القرآنية في الوقائع والحوادث والنوازل على ضوء اجتهادهم ورأيهم، وهذا البحث يشمل طرق الاستدلال بالآيات القرآنية

طرق الاستدلال عند الصحابة رضوان الله تعالى عليهم:

وطرق الاستدلال عند الصحابة رضوان الله تعالى عليهم علي نوعين: النقلية والعقلية.[٢٤]

لأن استدلالاتهم منها ماينصرف إلى النقل ومنها ماينصرف إلى الاجتهاد والاستنباط، وكانوا مجتهدين في ذلك ولكن قواعد الاستدلال والأسس لم تكن مدونة في زمن الصحابة رضي الله عنهم بل كانت مهضومة في أذهانهم وإن لم يكن لها اسم أو عنوان بل منها ما هو مكتسب ومنها ما جبل عليها الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

وما ينصرف إلى النقل:

وهو على نوعين: الأول المشاهدة والثاني السماع.

الأول المشاهدة: وهذا يعتبر مما تميز به الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لأنها لاتمكن أن تثبت لغيرهم وتحته شيئان أسباب النزول، وأحوالُ من أنزل فيهم القرآن المجيد.

أسباب النزول:

المراد بسبب النزول الذي كان صريحا وواضحا في السببية ويظهر هذا أثناء النص المنقول فيه كما يقول الصحابي: نزلت الآية في كذا وكذا أو يرد سؤال فتنزل الآية جواباً له، أو مما يمكن التعرف عليه بقرائن تدل على السببية الواضحة في أثناء النص.

ولأسباب النزول كانت مشاهدتهم من أهم أسبابها لمن أتى إلى تفسيرهم بعدهم،

مثاله قوله تعالى: "**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ**..."[٢٥] نزل في وقعة خولة بنت ثعلبة رضي الله تعالى عنه حين ظَاهر منها زوجها روي عن عائشة، أنها مدحت الله تعالى بصفة سماعه قائلاً إني أواجه تلك الحال التي فيها هي تشتكي زوجها إلى النبي عليه الصلوة والسلام وقد خفي علي بعض كلامها والله تعالى يسمع كلامها وهي تقول للنبي عليه الصلوة والسلام

أكل شبابي (لخدمته) ونثرت له بطني (بتولد الولد) حتى إذا كبرت سني (ضعف بدني) وانقطع ولدي الآن هو ظَاهر مني وهي شكت إلى الله عز وجل مستمرةً فما برحت حتى نزلت هذه الآية "**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ**".[٢٦]

أحوالُ من أنزل فيهم القرآن الكريم: بين هذا وبين أسباب النزول نسبة التلازم

في الحال التي فيها إذا كان سبب النزول يتعلق بحال من أنزل فيهم القرآن الكريم، إن التعرف على هذه الأحوال تنفع في علمهم وفهمهم بمطلوب الآية المباركة الذي هو يشبه سبب نزول الآيات

ولو لم يكن هذا التعرف لصدر الخطأ في فهم المعنى بالآية المباركة.

كما صدر الخطأ عن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما في التعرف على معنى قول الله عز وجل : "**إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ**" [٢٧] وقال لعائشة رضي الله تعالى عنها ما ذا رأيك في قوله عز وجل: "**إِنَّ الصَّفَا..... فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ...**" وأنا فهمت من هذا أن لاذنب ولاإثم على من لايطوفهما، فقالت رضي الله تعالى عنها: كلا لو كان معناها كما فَهمت كانت الآية "فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما" وهذه نزلت في حال الأنصار الذين كانوا يعبدون مناة وكانت مقابل قديد، وكانوا يزعمون أن الطواف بينهما فيه حرج فلما أتى دين الإسلام سألوا نبي الله عليه الصلوة والسلام عنها فنزلت هذه "**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ .... فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا** ..... ويعلم من هذا: أن سبب نزول آية أو آيات قد يكون لحال من أحوال من نزل فيهم الكلام من العرب أو أهل الكتاب، وبهذا يصلح هذا المثال للتمثيل به في الأمرين المذكورين[28].

ومن الآيات التي نزلت بسبب حال من أحوال اليهود، كما روى عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كانت اليهود تقولُ: إذا جامعها من ورائها جاء الولدَ أحول، فنزلت هذه الآية: "**نساؤُكُمْ حَرْث لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ**"[٢٩، ٣٠]

الثاني: ما يرجع إلى السماع:

وهو يحيط كل الروايات التي يرويها صحابي عن غيره، ويدخل تحته ما يلي:

التفسير الصريح الذي يروى الصحابة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

وهو على قسمين: الأول مايقع تفسيره جوابا عن أسئلتهم وشبهاتهم.

الثاني: أن يفسر النبي عليه السلام لهم ابتداء بغير سؤالهم.

مثال القسم الأول الذي روى أبو سلمة[٣١] في بيان تفسير قول الله عز وجل: "**لَمَسْجِدٌ أُسِسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ**....[٣٢] قال أبو سلمة رحمه الله تعالى: مر بي أبي عبد الرحمن[٣٣] بن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وأرضاه قال: قلت له: كيف سمعت أباك (أي جدي) يذكر المسجد الذي أسس على التقوى، قال: قال لي أبي: دخلت على نبي الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفا من حصباء، فضرب به الأرض ثم قال: هو مسجدكم هذا لمسجد المدينة، قال: فقلت: أشهد أني سمعت أباك هكذا يذكره.[٣٤]

ومثال القسم الثاني: تفسير قول الله عز وجل: "**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**"[٣٥] روى أبو ذر رضي الله تعالى عنه وأرضاه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: لي حين غربت الشمس: أتدري أين تذهب؟، قلت: الله ورسوله أعلم قال: "فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قول الله عز وجل: "**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**"[٣٦]

الذي يرويه بعضهم عن بعض، (الصحابي عن الصحابي)

وهو على قسمين: الأول: قد تكون الرواية تقع جوابا عن سؤال والثاني: أحيانا يروي الصحابي رواية مجردة من السؤال مثلا يوقعُ صحابي تفسير صحابي إيراداً من غير سؤال.

مثال الأول: ماروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه وأرضاه في قول الله عز وجل:...**وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**"[٣٧] قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه وأرضاه: مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه عن اللتان تظاهرا من أزواجه عليه الصلوة والسلام فلم أجد له موضعا أسأله فيه حتى خرج حاجاً وصحبته حتى إذا كان بمر الظهران ذهب لحاجته وقال أدركني بإداوة من ماء فلما قضى حاجته ورجع....فسألته عن المرأتان المتظاهرتان على نبي الله عليه الصلوة والسلام؟ فأجاب قائلاً: حفصة وعائشة رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما.[٣٨]

الملاحظة: ويدخل فيه الذي من أحوال من أنزل فيهم القرآن المجيد وأسباب النزول، ومن المعلوم أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كلهم عدول باتفاق المحدثين والمفسرين، ولهذا إذا كان أحد منهم لم يشاهد سبب نزول آية أو حال من أنزلت فيه تلك الآية، ويروي فروايته مقبولة فيه وإن لم يسندها إلى الراوي من الصحابة رضي الله عنهم ويجوز أن يروي من تأخر إسلامهم أوصغار الصحابة أحداثاً لم يحضروها ولم يشاهدوها ولم يعاصروها.

مثاله: الذي روي عن أبي هريرة وعبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما في بيان تفسير قول الله عز وجل: "**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**"[٣٩] إن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم صعد جبل الصفا ونادى قريشاً.....الراويان لهذه ابرواية لم يحضرا عند وقوع تلك الوقعة لأن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه لم يولد بل ولد سنة عاشر من النبوة ولأن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه لم يسلم بعد بل أسلم في المدينة، وذلك الوقعة التي يرويانها في بيان تفسير الآية كان في بدء الإسلام بمكة.[٤٠]

مثال الثاني: **قال الله تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ**.....[٤١]

روي عن عمرو[٤٢] عن أبيه عن جده سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الغنائم يوم بدر الكبرى، فنزلت: "**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ**"[٤٣].

هذه الرواية رواها الصحابي عن الصحابي مجردة من السؤال، أي أورد عبد الله بن عمرو بن العاص الرواية التفسيرية عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما.

الذي يروي أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم من الأمور الغيبية.

المغيبات على نوعين الأول الذي سبق والثاني ما سيأتي:

الأول: الأخبار الماضية السابقة ولها صورتان الأولى مصدرها النبي عليه السلام وهو المراد والمطلوب، والثانية مصدرها أهل الكتاب.

الثاني: الأخبار المستقبلة أكثرها روي عن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحيانا تروى من أهل الكتاب.

السوال: كيف نعلم الفرق بين ما روي عن الرسول عليه ألف ألف سلام وبين ما روي عن أهل الكتاب...؟

الجواب عن هذا السوال: الروايات التي تروى عن أهل الكتاب تسمى بالإسرائيليات في اصطلاح علماء الأمة.

وهي على نوعين عند الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم باعتبار تحمل الرواية:

النوع الأول: سماع الصحابة من أهل الكتاب المسلمين، يأخذونه عن بعضهم كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأرضاه، وكعب الأحبار رحمه الله تعالى من التابعين الكبار.

ومن الأمثلة الرواية عن بن سلام رضي الله تعالى عنه: ما رواه الإمام الطبري في تفسيره عن أبي مجلز قال سأل عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما عبد الله بن سلام رضي الله عنه وأرضاه عن الهدهد لم تفقده سليمان عليه السلام، فقال إنه نزل منزلة في مسير له فلم يدر مسافة بعد الماء فقال من يعلمه، قالوا الهدهد فذاك حين تفقده.[٤٤]

النوع الثاني: الذي يقرءونه من كتب أهل الكتاب ويأخذونه ويسمى طريق الوجادة، كما أخذ عبد الله بن عمرو بن العاص من كتبه[٤٥].

وما يتعلق بالفهم والاجتهاد:

وإن المفسر يعتمد على العقل في هذا النوع وإن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا يجتهدون في بيان معنى القرآن الكريم، وكتب العلامة عز الدين[٤٦] ذلك في كتابه: قال رسولُ اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وسلَّم: " من قَالَ: فِي كتَاب اللَّه برأيه فَأَصاب، فَقَدْ أَخطَأَ "[٤٧] قال العلامة: ويبطل أن يراد به أن لايتكلم ولايتحدث أحد من الناس في القرآن المجيد إلّا بالكلمة التي سمعها حوله، فإن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم قد فسروا القرآن الكريم وبينوا معانيه، ووقع اختلافهم في تفسير كتاب الله تعالى على صور متعددة وليس كل أقوالهم ما سمعوها من الرسول عليه الصلوة والسلام وإنه عليه الصلوة والسلام دعا عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال: اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل[٤٨]، [٤٩]

ويحتوي هذا أربعة أنواع:

النوع الأول: تفسير القرآن الكريم بالقرآن ومرجعه الرأي وصورته أن الصحابي يربط آية بآية أخرى وهو يعتمد على الرأي والعقل فيها. ومن حسن هذا البحث معرفة كيفية استفادة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من القرآن الكريم في تفسيرهم وفهمهم إياه.

والأمثلة الواردة المنقولة عنهم فيه:

روي عن عمر رضوان الله تعالى عليه في بيان تفسير قول الله تبارك وتعالى: "**وَإِذَا النُّفُوس زُوِّجَتْ**"[٥٠] قال معناه: تزويج النفوس أن يجمع كل قوم إلى مثلهم وشبههم، وقرأ "**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ**"[٥١]

وفي رواية قال...يجمع الرجل الصالح والصالح في الجنة ويجمع الرجل السوء والسوء في جهنم فهو تزويج الأنفس، وجاء في رواية قال هو الرجل يزوج مثله من أهل جهنم....[٥٢]

ولو كان عند الصحابي سندٌ إلى النبي عليه الصلوة والسلام لذكره، مثاله في تفسير قوله تبارك وتعالى: "**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**"[٥٣] حيث أسند إلى النبي عليه الصلوة والسلام.

النوع الثاني: تفسير القرآن المجيد بأقوال النبي عليه الصلوة والسلام:

تفسيره بأقواله عليه الصلوة والسلام التي لم يصرح علي تفسير آية من آيات القرآن الكريم فيها، ويعتمد المفسر على العقل في هذا، لاجتهاد الصحابي في ربط الحديث المقدس بمعنى الآية من الآيات القرآنية.

ومثال ذلك: روي عن أبي هريرة عن الرسول عليه الصلوة والسلام فضيلة صلوة الجماعة على صلوة الفرد خمس وعشرون درجة يكون اجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار في وقت صلوة الفجر يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم "**وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا**"[٥٤،٥٥] فنرى أن أبا هريرة رضي الله عنه ربط الحديث بمعنى الآية القرآنية المباركة، إن اجتماع الملائكة في صلوة الفجر هو الشهود الذي يكون حاصلا فيها.

النوع الثالث: ههنا قسم يقال له "التفسير اللغوي" أي الاحتمالات التي تتعلق باللغة.

إن القرآن المجيد نزل باللغة العربية وهي لغة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وحينما نجد تفسيراً لغوياً منقولا عن أحدهم فيقبل لأن هذا المحل محل القبول لنزوله بلغتهم.

الكلمات التي فسرت لغةً فهي على نوعين:

١- الكلمة تحتمل معنى واحدا وهذه الصورة لايقع الخلاف فيها، وهذا القسم كالقسم الذي يسمع أي السماع ولايتعلق بالاجتهاد، لأن الضرورة لم تمس لإقامة الرأي فيه.

٢- الكلمة التي تحتمل أكثر من معنى، وهنا سعة لاحتمال جميع المعاني، في هذه الصورة تكون إقامة الرأي والتميز نظراً إلى المعنى اللغوي، ومثاله: ماكتب الإمام أبوجعفر رحمه الله تعالى تحت قول الله عز وجل "خِتَامُهُ مِسْكٌ"[٥٦] فيه ثلاثة آراء، ورأيان عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم:

الرأي الأول معنى ختامه "خِلْطُهُ" قاله إبن مسعود رضي الله تعالى عنه إثباتا لهذه القضية: هذا ليس بالخاتم الذي يختم به، ويقول كما تسمعون المرأة من نسائكم قائلا: "طيب كذا وكذا خلطه مسك".

الرأي الثاني معنى آخر "ختامه" شرابهم قاله إبن عباس رضي الله تعالى عنه وقال: "طيب الله تعالى لهم الخمر فكان آخر شيء جعل فيها حتى تختم بالمسك"[٥٧].

النوع الرابع: المحتملات المرادة في الخطاب القرآني أو يكون نص من القرآن الكريم محتملاً أكثر من معنى.

أحياناً تَحتمل آية أكثر من معنى، فيخبر أحد من الصحابة عن أحد تلك المعاني، ثم يخبر الصحابي الآخر عن معنى غيره من المعاني التي تحتمل ذلك النص، مثلاً: قوله تعالى: "**لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ**"[٥٨] وقد اختلف في من وجه إليه الخطاب...؟ وفيه رأيان:

الرأي الأول: المخاطب هو نبينا محمد عليه الصلوة والسلام، وعلى هذا الرأي قوله تعالى: "**طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ**" يحتمل أحد من معنيين تاليتين:

المعنى الأول حال أو أمر، فصار معنى الآية لتركبن يا رسول الله "**طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ**" حال بعد حال وأمراً بعد أمر من المشاق والشدائد، هذا رأي إبن عباس رضي الله عنه.

والمعنى الثاني سماء، فصار معنى هذه الآية لتركبن يا رسول الله "**طَبَقًا عَن طَبَقٍ**" معناه سماء بعد سماء، وهذا رأي إبن مسعود رضي الله عنه.

والرأي الثاني: أن مخاطبه هي السماء، فصار معناه أنها تتبدل وتتغير، وتتشقق بالسحاب والغمام مرة، وتحمر أحياناً، وهذا رأي إبن مسعود رضوان الله تعالى عليه[٥٩].

في المثال المذكور رأيان في تعيين المخاطب للآية المباركة، وهنا خلاف في معنى الركوب "طبقاً عن طبق" وليس هذا الخلاف إلا لكون هذا النص محتملاً تلك المعاني التي ذكرت قبل.

الخاتمة:

هذا مايسر الله تعالى لنا تحريره من كتابة بحث موجز حول منهج استدلال الصحابة رضي الله عنهم بالآيات القرآنية ونحمد الله تعالى ونشكره على نعمه كلها وعلى توفيقه إياي كتابة هذه الأوراق فإنه يقدر على كل مايشاء وينصر من ينصر دينه، فههنا عدة نتائج التي توصل إليها الباحث أثناء كتابة هذا البحث، خلاصتها فيما يلي:

- أن أقوال الصحابة رضي الله عنهم في التفسير تتقدّم على غيره ـا عند أهـل العلم بالاتفاق، وقد تميزت أقوالهم بالعمق من غير تكلّف ولا حرج، لأنهـم أعلم الأمة بكتاب الله تعالى ومراده، لصحبتهم وقربهم نبي الله تعالى عليه الصلوة والسلام.
- وأن منهج استدلال الصحابة في التفسير ذو أهمية خاصة وهم يستدلون بالآيات القرآنية في الوقائع والحوادث والنوازل على ضوء اجتهادهم ورأيهم، لأن فهمهم هو الأحكم والأسلم والصحيح وهو أداة معيارية مهمة لضبط فهم معاني الآيات القرآنية.
- وأن طرق استدلالهم علي نوعين: النقلية والعقلية، الأول: ما يعود إلى النقل أي المشاهدة والسماع، والثاني: ما ينصرف إلى فهمهم واجتهادهم واستنباطهم.
- وأن قواعد الاستدلال والأسس لم تكن مدونة في زمن الصحابة رضي الله عنهم بل كانت في أذهانهم وإن لم يكن لها اسم أو عنوان بل منها ما هو مكتسب ومنها ما جبل عليها الصحابة رضي الله عنهم.

المصادر والمراجع:

[1] العين لأبي عبد الرحمن بن أحمد البصري الفراهيدي، (المتوفى ١٧٠هـ) ت: د مهدي المخزومي، الناشر: مكتبة هلال، ٣/٣٩٢.

[2] المائده ٤٨.

[3] لسان العرب 2/383 لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر بيروت.

[4] أبجديات البحث في العلوم الشرعية، لفريد الأنصاري، مصر، القاهرة، دار السلام. ٤٩.

[5] معجم مصطلح الأصول، لهيثم هلال، مراجعة: محمد التونجي، لبنان، بيروت دار الجيل، ٢٣.

[6] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد علي التعانوي، ت علي دحروج، لبنان بيروت، مكتبة لبنان. 1/151 .

[7] لسان العرب 11/247

[8] أحمد بن علي الرازي، الحنفي، المعروف بالجصاص (ابو بكر)، وتوفي ببغداد في سنة ٣٧٠ وله ٦٥ سنة. (سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٠: ٢٣٢).

[9] أصول الفقه المسمى: الفصول في الأصول جـ٤، صـ٩، للإمام أحمد بن علي الجصاص، (٣٠٥-٣٧٠هـ) ت: د عجيل جاسم، الناشر: وزارة الأوقاف، والشئون الإسلامية، دولة الكويت، عدد الأجزاء : ٤.

[10] لسان العرب 1/519 العين، 3/124، القاموس المحيط، للفيروز آبادي، فصل الصاد ص 915 ـ

[11] أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المصري ثم القاهري، المشهور بابن حجر، وتوفي اثنتين وخمسين وثمانمائة هـ (الأعلام للزركلي(المتوفى: ١٣٩٦هـ)، ١/ ١٧٨).

[١٢] الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ١٥٨، للإمام إبن حجر العسقلاني، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، عدد الأجزاء: ٨.
وشرح نخبة الفكر، جـ٢، صـ٩، لابن حجر العسقلاني.

[١٣] الحشر٨-

[١٤] حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت، ١/٥.

[١٥] الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمرو يوسف بن عبد الله القرطبي (المتوفى ٤٦٣هـ) ت: علي محمد البجاوي، دار الجبل بيروت، ١/١٣.

[١٦] أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني الحافظ المشهور صاحب كتاب حلية الأولياء وتوفي سنة ثلاثين وأربعمائة بأصبهان. (وفيات الأعيان، ١/ ٩١، ٩٢)-

[١٧] حلية الأولياء ١/٣٠٥-

[١٨] سورة البقرة: ٢٤٨-

[19] البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي توفي ٧٩٤هـ، ت: أبو الفضل محمد إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١/٢٦٦.

[20] مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى ١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١/ ٣٣٩.

[٢١] كتاب دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي صـ١١٥ – المكتبة الشاملة الحديثة.

[٢٢] لسال العرب، ١/١٢٨-

[٢٣] نور الأنوار في شرح المنار لأحمد بن أبي سعيد الأميتهوي الفقيه الأصولي الهندي الحنفي المعروف بملا جيون، الناشر دار الفاروق، عمان الأردن.٢٧-

[٢٤] مقدمة في أصول التفسير، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى ٧٢٨هـ، الناشر: مكتبة الحياة بيروت، ١/٢٠.

[٢٥] المجادلة:١.

[٢٦] الملخص من صحيح البخاري، رقم الحديث: ٧٣٨٥. لمحمد بن إسماعيل البخاري ت: محمد زهير بل ناصر الناصر، عدد الأجزاء: ٩، القاهرة، مصر، وتفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، الناشر دار الطيبة للنشر ٨/٣٤.

[٢٧] البقرة ١٥٨

[28] صحيح البخاري، رقم الحديث: ٤٤٩٥.

[٢٩] البقرة ٢٢٣

[٣٠] صحيح البخاري، رقم الحديث: ٤٥٢٨-

[٣١] أبو سلمة عبدالله بن عبد الرحمن بن عوف، وتوفي بالمدينة سنة أربع وتسعين (سير أعلام النبلاء للذهبي، ٥/ ١٦٦، ١٦٧).

[٣٢] التوبة، ١٠٨.

[٣٣] عبد الرحمن بن سعد بن مالك بن سنان وهو ابن أبي سعيد الخدري وتوفي عبد الرحمن بالمدينة سنة ١١٢هـ، (الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٢٠٥)-

[٣٤] صحيح مسلم، رقم الحديث: ٢٤٧٧، لأبي الحسين مسلم بن حجاج النيسابوري القشيري، الناشر: دار الجيل بيروت.

[٣٥] يس، ٣٨.

[٣٦] صحيح البخاري، رقم الحديث: ٣١٩٩.

[٣٧] التحريم، ٤.

[٣٨] جامع البيان في تأويل القرآن المشهور بتفسير الطبري صـ٤٨٥، جـ٢٣، لمحمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر، الناشر:مؤسسة الرسالة، ٢٣/٤٨٥-

[٣٩] الشعراء، ٢١٤.

[٤٠] تفسير الطبري، ١٩/ ٤٠٦، ٤٠٧.

[٤١] الأنفال، ١

[٤٢] عمر بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمر بن العاص، المتوفى ١١٨هـ بالطائف. (سير أعلام النبلاء، ٥/٤٧٩-٨٥

[43] تفسير الطبري، ٣٧٩/١٣

[44] تفسير الطبري، ٤٤١/١٩.

[45] صحيح البخاري، رقم الحديث: ٢١٢٥.

[46] هو أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب عز الدين، وتوفي في سنة ثلاثين وستمائة، بالموصل. (وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٤٨-٣٤٩)

[47] السنن للإمام أبي داؤد اسمه سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، كتاب العلم، ح/ ٣٦٥٢، ت: محمد محي الدين، المكتبة العصرية بيروت.

[48] مسند أحمد بن حنبل، رقم الحديث: ٢٣٩٧.

[49] جامع الأصول في أحاديث الرسول، للجزري ابن الأثير، ت: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر : مكتبة الحلواني ودار البيان.٣/٢

[50] التكوير: ٧

[51] الصافات: ٢٢

[52] الدر المنثور للإمام جلال الدين السيوطي عيدالرحمن بن أبي بكر، (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر بيروت، ٤٢٩/٨-٣٠.

[53] الأنعام: ٨٢

[54] بني إسرائيل: ٧٥.

[55] صحيح البخاري، رقم الحديث: ٤٧١٧.

[56] المطففين: ٢٦.

[57] تفسير الطبري، ٢٩٧/٢٤.

[58] الانشقاق: ١٩.

[59] تفسير الطبري، ٣٢٤/٢٤-